

نور الشام

دورية صادرة عن هيئة الشام الإسلامية
السنة الرابعة
صفر ١٤٣٧ هـ الموافق تشرين الثاني 2015 م
www.islamicsham.org
/ islamicsham1 / islamicsham

العدد:
٣٨

في هذا العدد:



نور الشام ترحب بمشاركاتكم وتزداد ثراءً بأقلامكم.. للتواصل مع إدارة التحرير وإرسال مشاركاتكم
contact@islamicsham.org

افتتاحية العدد:

متاهات المفاوضات

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد شرع الله تعالى الجهاد في سبيله لمقصد عظيم وهو أن يكون الدين لله، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

وقد جعل لهذا الجهاد أسبابًا عديدة، من أهمها: استنقاذ المستضعفين ودفع العدوان على الأنفس والأعراض والأموال، والدفع عن فتنة الناس في دينهم، قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥].

وكثيرًا ما يعترض المسلم أثناء جهاده مفاوضات وطلب هدن ومصالحات، تارةً لحاجته لذلك، وتارة بطلبٍ من الأعداء، والمفاوضات نوعٌ من الجهاد، ما لم يأخذها المجاهد بحقها فإنها ستقوده لمزالق قد تقضي على جهاده وتفسده.

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فقد جاهد في الله حق جهاده، ولما عجز المشركون الناس عن صرف الناس عن دعوة الإسلام جربوا أسلوباً آخر يجمع بين الترغيب والترهيب، بمفاوضته على مواقفه ومبادئه، وتفريغ دعوته من مضونها.

فقد فاوضته قريش على ترك الدعوة مقابل شيء من متاع الدنيا من مال أو زوجة أو مُلك، فصدع بالحق مبيناً دعوته ورسالته: ﴿حم ① تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ② كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ③ بَشِيرًا وَنَذِيرًا..﴾ [فصلت: ١-٣].

ثم لما رأت صلابته واستمرار تعاظم قوة المسلمين فاوضته على حل وسط، يحفظ نظامها ومجتمعها من الانهيار بدمج جزء منه في مجتمع المسلمين، فقالت: «هلم فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد، فنشترك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيرًا مما نعبد، كنا قد أخذنا بحظنا منه، وإن كان ما نعبد خيرًا مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه».

فكان الرد قاطعًا برفض أنصاف الحلول، أو إنقاذ نظام الكفر من السقوط؛ إذ لا لقاء بين الحق والباطل، ولا اجتماع بين النور والظلام، ونزل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ إلى آخر سورة الكافرون.

لكن حين ضعف المشركون، أو كان في هذه المفاوضات تحصيل نفع كبير للمسلمين، نظر النبي ﷺ لما فيها من مصالح ومفاسد ومآلات، ولم يتوقف عند بعض الأضرار التي تقع على المسلمين، أو المصالح التي يحصل عليها المشركون إذا كان في هذه المفاوضات نفع أكبر لصالح المسلمين.

فقد فاوض مشركي غطفان على أن يدفع لهم ثلث ثمار المدينة لتحييدهم عن المعركة مع قريش.

وفاوض قريش عام الحديبية على هدنة يتوقف فيها القتال، ويتاح للمسلمين فيها الدعوة للإسلام بين القبائل، ولم يتوقف عند بعض الألفاظ التي لا تؤثر في حقيقة الاتفاق، بل إنه قبل بما كان في ظاهره ضرر على المسلمين من إعادة من أسلم إلى المشركين، أو تأجيل بعض ما كان يرغب فيه المسلمون كدخول بيت الله الحرام وأداء العمرة، في مقابل الفوائد العظيمة للمسلمين، حتى إن الله تعالى وصف هذا الصلح بالفتح، فقال: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١].

إن المفاوضات والاتفاقيات حين كانت مضرتها أعظم من ضررها، أو كانت تؤدي إلى إفساد ولو بعد حين قابلها الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفض والمنع، لكنها حين كانت في صالح المسلمين، أو تؤدي إلى خير لاحق قَبِل العمل والأخذ بها.

فما أحوج المجاهدين -والمسلمين عمومًا- لتعلم أحكام المعاهدات والمفاوضات، كما يتعلمون أحكام الجهاد والقتال؛ لئلا تزل بهم قدم الاتفاقيات والضغوطات، وألا يقدموا عليها إلا مجتمعين، وعن أحكام الشرع في هذه الأمور صادرين، وبالنظر للمآلات والعواقب ناظرين. والحمد لله رب العالمين.



حكم نقل جثث الشهداء ونبش قبورهم

الكاتب: المكتب العلمي هيئة الشام الإسلامية

السؤال: يقتل بعض من حولنا -ونحتسبهم عند الله شهداء- ولا نستطيع دفنهم في المقابر بسبب الحصار والقصف، فهل يجوز دفنهم في أمكنة غير المقابر كالحدائق وغيرها؟ وهل يجوز نقل جثتهم بعد ذلك لدفنها في المقابر؟

وسؤال آخر: من قتل في مكان ما وأرادت عائلته نقله إلى بلده ليدفن فيها بقربهم، أو نبش قبره لنقل جثته إلى مدينته ليتمكنوا من زيارته بين الحين والآخر، فما حكم ذلك؟

الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

أولاً: السنةُ المسارعة في تجهيز الميت وتكفينه والصلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين؛ إكرامًا له وحفاظًا عليه من التغير والفساد، وهذا من الإسراع بالجنازة الذي حث عليه النبي ﷺ في قوله: (أَسْرِعُوا بِالْجِنَازَةِ فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا، وَإِنْ يَكُ سِوَى ذَلِكَ فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ) متفق عليه.

فإن تعذّر دفنه في المقبرة بسبب الخوف أو القصف: فيدفن في أي مكان متاح من الأرض، ويُبدأ بالأرض المملوكة له، ثم الأراضي غير المملوكة لأحد والتي لا ينتفع بها الناس كالوديان والسهول ونحو ذلك، ولا يُدفن في الأماكن العامة المأهولة كالحدائق العامة، والساحات إلا عند تعذر دفنه في غيرها، وينبغي حين ذلك حفظ أماكنها وتمييزها حتى لا تتعرض للتدنيس أو الامتهان، ولنقلها لاحقاً إن احتيج إلى ذلك.

ثانيًا: نقل الميت قبل دفنه ليدفن في بلدٍ آخر:

الأصل أنّ الميت يُدفن في مقابر البلد الذي مات فيه، وهي السنّة التي جرى عليها العمل في عهد النّبي ﷺ، وفي عهد أصحابه رضي الله عنهم، سواء كان الميت من أهل ذلك البلد أم لم يكن، وأن يُدفن الشهداء حيث قتلوا، كما دفن النبي ﷺ من قتل من أصحابه في بدر



عند ذلك المكان، ومن قتل في أحد عند جبل أحد وهكذا.

فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: (كُنَّا حَمَلْنَا الْقَتْلَى يَوْمَ أُحُدٍ لِنَدْفِنَهُمْ [أي في المدينة]، فَجَاءَ مُنَادِي النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَدْفِنُوا الْقَتْلَى فِي مَضَاجِعِهِمْ، فَرَدَدْنَاهُمْ) رواه أبو داود.

قال ابن المنذر -رحمه الله- في «الأوسط»: «يستحب أن يدفن الميت في البلد الذي توفي فيه، على هذا كان الأمر على عهد رسول الله ﷺ، وعليه عوام أهل العلم، وكذلك تفعل العامة في عامة البلدان، ويكره حمل الميت من بلد إلى بلد يخاف عليه التغير فيما بينهما».

وقال ابن قدامة -رحمه الله- في «المغني»: «فلا يُنقل الميت من بلده إلى بلد آخر... لأن ذلك أخف لمؤنته، وأسلم له من التغيير».

والأمر في الشهداء آكد من غيرهم؛ لما سبق من الأحاديث.

ويجوز نقل الميت ليدفن في بلدٍ آخر إذا كان ذلك لحاجةٍ وغرض صحيح، مثل أن يُخشى على قبره من الاعتداء وانتهاك حرمته، أو لعدم ملاءمة المكان لدفنه، فينقل إلى مكان آخر يؤمن عليه من ذلك.

أما نقل الميت لأن يكون قريباً من أهله، أو ليدفن بينهم، فقد اختلفت فيه أقوال أهل العلم، ولعل الأقرب: جوازه إن كانت المسافة قريبة، ولم يُخش عليه من التغيير، أو انتهاك حرمته، وهو ما ورد به عمل عدد من الصحابة رضي الله عنهم، ومنعه إن كانت المسافة بعيدة، ولا يسلم فيها من التغيير أو انتهاك الحرمة.

ثالثًا: نبش القبر ونقل الميت إلى قبر آخر:

الأصل منع نبش القبر ونقل الميت بعد دفنه؛ لما فيه من انتهاك حرمة الميت وحرمة قبره، ومخالفة لما كان عليه سلف الأمة.

روى البخاري أن عبد الله بْنَ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما- شهد جِنَازَةَ مَيْمُونَةَ أم المؤمنين رضي الله عنها بِسَرِفَ فَقَالَ: (هَذِهِ زَوْجَةُ النَّبِيِّ ﷺ، فَإِذَا رَفَعْتُمْ نَعْشَهَا فَلَا تُزَعْزِعُوهَا وَلَا تُزَلْزِلُوهَا وَارْفُقُوا).

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في «فتح الباري»: «يُستفاد من هذا الحديث أنّ حرمة المؤمن بعد موته باقية كما كانت في حياته، وفيه حديث (كَسْرُ عَظْمِ المؤمن ميّتاً كَكَسرِهِ حياً) أخرجه أبو داود وابن ماجه وصححه ابن حبان».

ويجوز نبش القبر ونقله لضرورة، قال النووي -رحمه الله- في «منهاج الطالبين»: «ونبشه بعد دفنه للنقل وغيره حرام إلا لضرورة: بأن دفن بلا غسل، أو في أرض أو ثوب مغصوبين، أو وقع فيه مال، أو دفن لغير القبلة...».

كما أجاز الفقهاء النبش والنقل لحاجة معتبرة كمن دُفن في مكان مأهول كالحدائق وبين البيوت، أو دُفن في أرض هي مجرى للنجاسة، أو طريق عام للناس، أو كان عرضة لنبش السباع الضارية، ونحو ذلك.

ويدخل في هذا الجواز: نقل الميت إذا خيف من الاعتداء على قبره من قبل شبيحة النظام وغيرهم.

أما نبشُ القبر وإخراجُ الميت بعد دفنه ونقلُه لتقريبه من أهله أو دفنه في بلده فغير جائز؛ لأن ذلك ليس من الحاجات المعتبرة.

قال ابن الهمام -رحمه الله- في «فتح القدير»: «فلا ينقل الميت من بلده إلى بلد آخر... لأن ذلك أخف لمؤنته، وأسلم له من التغيير».

ويمكن لأقاربه زيارته في مكان دفنه إن كان قريبًا، كما أن الدعاء والاستغفار له يصله حيث كان، فلا تشترط الزيارة للدعاء أو الاستغفار، فنوصيكم بكثرة الدعاء له، والترحم عليه، وعدم إيذائه بنبش قبره.

نسأل الله تعالى أن يتقبل شهداءنا، ويرفع درجتهم في المقبولين، ويصبر أهاليهم ويأجرهم، ويخلفهم في أهليهم ومالهم خيرًا.

والحمد لله رب العالمين



آراء وتحليـــــلات

الاستبداد السياسي

الكاتب: عباس شريفة

العقل المحرك للإرجاء المنبطح والغلو المجرم هو الاستبداد السياسي، فهو بمثابة الدماغ الذي يحرك الأذرعة، وبقطعه ستفقد أذرعته الحياة.

من أهم أساليب منظومة الاستبداد السياسي والقهر:

تحزيب المجتمع ليسهل السيطرة عليه، وتحريش بعضه على بعض ثم يتدخل كمصلح لضبط الإيقاع ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً﴾.

﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ إن فرعون يقول للعامة: «ذروني» ودون أن يستطيع أحد أن يمنعه... يطلب فرعون من العامة أن يتركوه.. يطلب التفويض الشعبي والشرعية.

الاستبداد السياسي يشعر العامة أنهم أصحاب السياسة ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ سياستكم ومذهبكم السياسي- أن يشعر العامة أنهم أصحاب القضية والمبدأ.

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ يحرص الاستبداد السياسي على النصر الإعلامي الكاذب أمام العامة والبسطاء ليرسخ سلطانه في نفوسهم.

﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾، مهما بلغ بطش الاستبداد السياسي على الأجساد لن يغير ما في القلوب.

من أهم عناصر رسوخ الاستبداد السياسي أن يشعر العامة بأنهم محور النظام، ومن هنا كان الضمير يعود على الناس: «أرضكم - طريقتكم - دينكم».

يحاول الاستبداد السياسي أن يظهر بمظهر المنافح عن الدين والقاطع لأطناب الفساد ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾.

يصور الاستبداد السياسي جرائمه على أنها محامد وحسنات يمن بها على الناس ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾

الاستبداد السياسي صناعة الشعوب المستكينة للظلم والجور والتي لا تحسن إلا الهتاف والتصفيق ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ﴾.

لا مكان للرأي الآخر عند المستبد فما من شيء أبغض إليه من صادع بالحق يقمع غروره ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾.

تنبه عمرو بن العاص إلى أن مصدر الطغيان هو قبول الشعوب له، عندما ذكر الروم أمامه قال: إن فيهم صفات حسنة ومنها أنهم أمنع الناس من ظلم الملوك.

من هنا نعلم أن مشكلة الأمة ليست في الاستبداد السياسي، وإنما في قابليته لقبول تسلط الاستبداد والرضا بالعبودية والذل فتألف حياة الهوان.

تربية الذل والهوان تتجذر في أعماق الإنسان فيصعب عليه أن يخرج من العبودية إلى الحرية بسهولة، فمن يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام.

تبدأ سورة القصص بقصة فرعون والاستبداد السياسي، ثم قصة قارون والفساد والاحتكار الاقتصادي، تحالف السلطة مع المال أعتى أنواع الاستبداد.

لن ينفع جنود الطغيان أن يقولوا (عبد مأمور)، فلولا هؤلاء الجنود ما استطاع المستبد على القهر ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾.

عندما يشرف الاستبداد السياسي على السقوط وانكشاف ضعفه وانقطاع حجته يدعي أن مؤامرة تحاك ضده ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾.

عندما يصل الاستبداد السياسي إلى العجز في الحفاظ على شرعيته يلجأ إلى منطق الأقلية والأكثرية والتهوين من شأن المعارضة ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾.



«علمانية» سوريا المفروضة من فيينا

الكاتب :أمير سعيد



لم يتفق المؤتمرون في فيينا على ضرورة إنهاء معاناة الشعب السوري..
لم يتفقوا على أن ما ارتكبه نظام بشار الأسد في سوريا من قتل مئات الآلاف وتهجير الملايين وأسر عشرات الآلاف هو من صميم التوصيف القانوني كجرائم حرب، وأخرى ضد الإنسانية..
لم يتفقوا على ضرورة محاكمة بشار وأركان حكمه وقادته العسكريين والأمنيين..
حتى نظام الحكم بعد بشار أو أثناء فترة انتقالية يقودها هو، لم يتفقوا على أن تكون ديمقراطية بالمعنى الحقيقي الدقيق وبضمانات دولية حازمة.. كل ما اتفق عليه ممثلو ١٧ دولة اجتمعت في فيينا - كما يقول وزير الخارجية الأمريكي جون كيري - على "سوريا موحدة ذات نظام علماني".

ولكي لا يذهب الظن بالبعض إلى صدق ما أردفه كيري بقوله "علماني تعددي ديمقراطي"؛ فإنه عاد مستدركاً في مقابلة تلفزيونية مع شبكة إم.إس.إن.بي.سي. "هناك اتفاق على أنه يجب أن تكون سوريا دولة موحدة وعلمانية، وأن هناك حاجة إلى التصدي لتنظيم الدولة الإسلامية وإنه يجب أن تكون هناك عملية انتقال سياسي موجهة لكن لا تزال هناك خلافات على النتيجة التي ستسفر عنها عملية الانتقال"...

إذن، الرسالة التي ينبغي أن تصل للجميع في العالم أن كل الدول التي لها تأثير في مجريات الحرب في سوريا لديها همّ واحد، ولغة واحدة، وتوجه واحد، وهو أن تحدد للسوريين هويتهم، وأن تصادر على رأيهم في اختيار النظام الذي يرتضونه لأنفسهم، وبالتحديد أكثر؛ فإن هذه الدول والأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي، لم ترَ ما يقلق في كل ما جرى من مجازر وكوارث وجرائم ومآسٍ، سوى ثابتاً واحداً لا يمكن السماح بتغيير أو التفاوض حوله، وهو ألا تكون سوريا دولة يحكمها نظام إسلامي..
هذا هو الأصل، وما عداه تفاصيل يمكن التحاور حولها!

والقضية الأبرز، والتي صُدِّرت لتعطي في النهاية انتصاراً بجوهر الهزيمة، هو مصير بشار الأسد، لا نظامه الطائفي المجرم، ولا مؤسساته الموغلة في الدم، والكارهة للإسلام، وهو ما سيكون محل مناقشات وصولاً إلى صيغة يكون فيها حلم تغيير هذا النظام مجرد خيال، حيث استبعد لفظ "التغيير" أو "الإطاحة" أو "إسقاط" النظام، ليحل محله "الانتقال السياسي" وهو أشبه بطريقة تسليم الحزب الجمهوري للديمقراطي في الولايات المتحدة، الحكم حال فوز الأخير. وعنده سيصبح بشار الأسد أكثر من "مانديلا"..!.

و"مانديلا الشام" هذا، لا يمكن للسوريين أن يطمحوا بمحاكمته أو إعدامه أو حتى رحيله، فهو بنظر العالم "نظاماً شرعياً" حتى اللحظة، وبنظر روسيا، والتي عبر عنها وزير خارجيتها سيرجي لافروف بالقول إنني أرى أن "الشعب السوري هو من يقرر مصير الأسد"، لكنه يرى في ذات الوقت، ومعه الـ١٧ المؤتمرون أنهم متفقون على "ضرورة أن تخرج سورية من الحرب كدولة علمانية موحدة." وزاد وزير خارجية ألمانيا فرانك فالتر شتاينماير أن المشاركين في المحادثات اتفقوا على العمل من أجل سوريا موحدة بـ"قيادة علمانية".

أي أن محور الاتفاق كان في فيينا، هو على تغييب هوية سوريا وقيادتها، الاثنين معاً، عن الصبغة الإسلامية، وهذا هو بيت القصيد في منع العالم كله للسوريين أن يتحرروا أو يحكموا أنفسهم بأنفسهم، وبالصيغة الحضارية التي يرتضون.

لقد استباح المؤتمرون لأنفسهم مصادرة الإرادة الشعبية السورية، وفكروا نيابة عنه، وارتضوا له غير دينه التي يدفع ضريبة الدم لأربع سنوات حمراء من أجله، ولقد استبان لمن غابت عنه هذه الحقيقة طول هذه السنين المؤلمة أن العقيدة هي من تحرك الغرب ضد المسلمين في سوريا، وأن عودة السوريين لهويتهم الحضارية، واستعمالهم لحقهم الطبيعي في أن يقرروا مصير من يحكمهم ونظام حكمهم وسياسة بلدهم دونه خرط القتاد من الأمم المجتمعة في العالم، وعلى هذا المنوال يُنسج كل صراع يكون المسلمون فيه طرفاً، فما انجلى كشمس الظهيرة في سوريا ينسحب على كل بقعة يقاتل فيها الشرق والغرب مجتمعين من أجل ألا يكون للمسلمين عودة حضارية.. لهذا قاتلوا، ولهذا اختاروا هذا التوقيت الدقيق لينتزعوا من بعض الدول هذا البند الخطير من الاتفاق المبدئي.. قبل يومين من الانتخابات التركية، وكأنه شرط لهدوئها، وفي توقيت تجد الدول المناوئة لهجوم محور روسيا/إيران/سوريا على مصالحها شديداً، والتواطؤ الغربي واضحاً كأن لم يكن، بهذا الوضوح في الملف السوري؛ فلأول مرة تتداعى دول الاتحاد الأوروبي للتعاطي مع فكرة ما يُسمى بالانتقال السياسي في سوريا بوجود المجرم بشار الأسد، ولأول مرة تتجاور طائرات الولايات المتحدة وروسيا (وإن بأجندة مختلفة) في سماء بلد واحد منذ تجاورهما ضد هتلر.. هكذا يخشون الفصائل السورية بل أكثر من رعب هتلر!

ثقافة المسلم

تصحيح المنهج 1: (حقيقة المنهج وأصوله)

الكاتب: الشيخ فايز الصلاح

الحمد لله رب العالمين ، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد:

١- كلمة المنهج لغة جاءت من مادة نهج ينهج نهجاً، وهو الطريق البيّن الواضح، ويطلق على الطريق المستقيم، والمنهجُ والنهجُ والمنهاجُ بمعنى واحد، وفي التنزيل قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: سبيلاً وسنة. وقال الحافظ في "الفتح" [١/٤٨]: (والمنهاج: السبيل، أي الطريق الواضح).

٢- وأما في الاصطلاح فالمنهج: هو السبيل الذي تسير عليه الطائفة المنصورة لتحقيق الغاية التي خُلِقَ من أجلها البشر.

وله إطلاقان: عام وخاص، فالعام هو الإسلام كله، وأما الخاص فيتعلق بالطريقة التي يسلكها المسلمون لإعادة حكم الله في الأرض.

٣- والسير على المنهج الحق يثمر بإذن الله عز وجل التمكين والاستخلاف لهذه الأمة؛ فالسير على المنهج يعصم من الانحراف والضلال والهزائم المؤلمة ويثبت الحق في النفوس وفي الأرض حتى يأذن الله بالنصر والتمكين.

فالسير على المنهج هداية ورحمة وبشرى للسائرين في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢].

٤- ومن هنا يتبين لنا خطورة الانحراف عن المنهج، ويكفي في ذلك، أنه عصيان لله ولرسوله ﷺ، وانحراف عن سبيل المؤمنين الأولين قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وتبدو الخطورة واضحة، في أفعال الخارجين عن المنهج، فالخوارج تقربوا إلى الله عز وجل بقتل أفضل البشر في عصره وهو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والمعتزلة من الخلفاء والعلماء تقربوا إلى الله بقتل أحمد بن نصر المروزي، وتعذيب الإمام المبجل أحمد بن حنبل، والأمثلة كثيرة في القديم والحديث.

إن الخطأ في قضية منهجية، أعظم من الخطأ في مسألة فقهية فرعية، فقد يشذُّ العالم بفتوى، وهو فيها مأجور لاجتهاده، ولكن لا يترتب على هذه المسألة فتنة أو فساد، ولكن لو أخطأ العالم في قضية منهجية فقد يترتب عليها مفاسد عظيمة من قتل وتشريد وانحسار في الدعوة، ومن هنا تجد هذه الآثار الخطيرة في العالم الإسلامي إنما هي من آثار فتوى في قضية منهجية ممن لم ترسخ قدمه في أرض العلم، وقلما تجد العلماء الراسخين يقعون في مثل هذا.

ولقد كان السلف يحذرون من علم الكلام ويقولون: لأن يقال لك أخطأت، خير من أن يقال لك كفرت؛ ولأن يقال لك الآن أخطأت خيرٌ من أن يقال: ضللت، وسفكت دماء المسلمين. بل لأن يقال لك: مخذل مثبط مداهن، خير من أن تجعل دماء المسلمين في عنقك.

٥- وأما مصادر المنهج فهي كتاب الله عز وجل، وسنة الرسول ﷺ وسيرته العطرة، ثم فهم سلف الأمة من الصحابة ومن تبعهم بإحسان.

والكتاب والسنة كافيان في كل صغيرة وكبيرة تهم هذه الأمة في مسيرة حياتها، وذلك لأن الله: (قد بعث محمداً ﷺ بأفضل المناهج والشرع).

ثم القواعد الجامعة التي سطرها السلف الصالح بسيرتهم القولية والفعلية. والأدلة واضحة وبينة في كفاية منهج رب العالمين عن طرق ومناهج المُحْدَثين المنحرفين عن منهج رب العالمين، وطريقة السلف الأكرمين. ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

٦- والمنهج يقوم على أساسين عظيمين: الأول: العلم، الثاني: الاتباع، وذلك لقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، فكل السبل مسدودة إلا السبيل التي سلكها الرسول ﷺ ومن بعده من السلف الصالح، فهم يدعون إلى الله عز وجل لا يدعون إلى غيره من الشركاء إن كان صنماً أو وثناً أو رجلاً أو حزباً أو جماعة، وهذه الدعوة على بصيرة، أي على علم وثبات، فالعلم يعطيك سلامة الاعتقاد، والاتباع يعطيك السلامة في الطريق والمنهج. فالاعتقاد هو الركيزة الأولى التي ينطلق منها المسلم إلى غايته المرجوة، ثم كان لا بد للسالك من طريق، فإن لم تكن سليمة فستؤدي به إلى الانحراف والضياع والضلال عن الهدف فلذلك قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢]، وقال أيضاً: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ [فصلت: ٦]، وقال ﷺ: (قل آمنت بالله ثم استقم).

فأيها المسلم: استقم كما أمرت، كما أمرك الله عز وجل، وأمرك به رسول الله ﷺ، لا كما أمرك به عقلك أو فكرك أو وجدك أو ذوقك أو شيخك أو حزبك أو جماعتك.

٧- وأما أسباب الخروج عن المنهج فهي كثيرة جداً، ولكنها ترجع إلى سببين رئيسين: الأول: سوء الفهم، الثاني: سوء القصد.

فسوء الفهم هو الجهل الذي ينتج عنه التأويل والتحريف. وسوء القصد: الذي ينتج عنه اتباع الهوى والعاطفة والمصالح غير المعتبرة.

المشروع الإسلامي والمشروع الوطني

د. معن عبد القادر

قال لي صاحبي ونحن نتحاور في أحوال الثورة السورية وما آلت إليه، وفي الواجب في هذه المرحلة: الثورة الآن بحاجة إلى مشروع وطني لا مشروع إسلامي.

وعبارته بالنسبة لي واضحة جليّة، فالمشروع الوطني هو المشروع الجامع الذي تتفق عليه جميعُ المكوّنات الوطنية المؤثّرة أو جلُّها، ويُشَكِّل القاسمَ المشتركَ لمطالبها، ويكونُ عادةً دون طموح جميعهم، لكنّهم يتوافقون عليه لأنَّه الأمر الـمُمكن، ويحققُ لهم مصلحة مشتركة.

بينما المشروع الإسلامي هو الذي يكون فيه السلطان للشريعة في كل شؤون الحياة، في الحكم والاقتصاد وشؤون المجتمع والعقوبات وعلاقة المسلمين بغيرهم، كما هو الشأن في الخلافة الإسلامية الراشدة، وليس معنى هذا أن يظلمَ المشروعُ الإسلامي بعضَ مواطنيه أو يغمطَهم حقوقهم، بل لا يكون المشروع إسلامياً حقاً حتى يحكمَ بالعدل بين الجميع، ويعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه.

كلُّ هذا مفهومٌ وجليّ، لكن هذا التقابل والتضادّ في الإشارة إلى المشروعين «مشروع وطني لا مشروع إسلامي» ربما كان السببَ وراء رفض البعض لفكرةِ المشروع الوطني ومحاربته، ومحاولات الغلاة لتشويه صورة الـمُطالِبينَ به وتخوينِهم والطعنِ في ديانتهم.

ذلك أن العبارة قد توحي لبعض البسطاء ولمن يريد أن يصطادَ في الماء العكر بأن المشروعَ الوطني هو مخالفةٌ لدين الإسلام وخروجٌ عنه، كما يقال: «بنك إسلامي» في مقابلة البنك الربوي، و«ذبح إسلامي» في مقابلة الـمَيْتة!

وهذا فهم باطل؛ فالمشروع الوطني إذا كان عملاً بالقدر المستطاع، وسكوتاً عما لا يستطاع -دون النصِّ على إسقاطِه من الدين- فهو معتبر شرعاً.

إذ إنَّ العمل على قدر الوسع أصل ثابت من أصول الشريعة دلَّت عليه محكمات النصوص:

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾.

(فما أمَرْتُكم من شيءٍ فأتوا منه ما استطَعْتُم).

(مَن رأى منكم مُنكرًا فليغيِّرهُ بيدِه، فإن لَم يَستَطِع فبِلسانِه، فإن لم يستَطِعْ فبقَلبِه).

والتكاليف الشرعية لا تتوَجَّه إلا على القادر.

قال شيخ الإسلام: «ولا يكون ذلك - أي السكوت عن الأمر والنهي بما لا يمكن علمه أو عمله إلى وقت الإمكان- من باب إقرار المحرمات وتركِ الأمر بالواجبات، لأنّ الوجوبَ والتحريمَ مشروط بإمكان العلم والعمل».

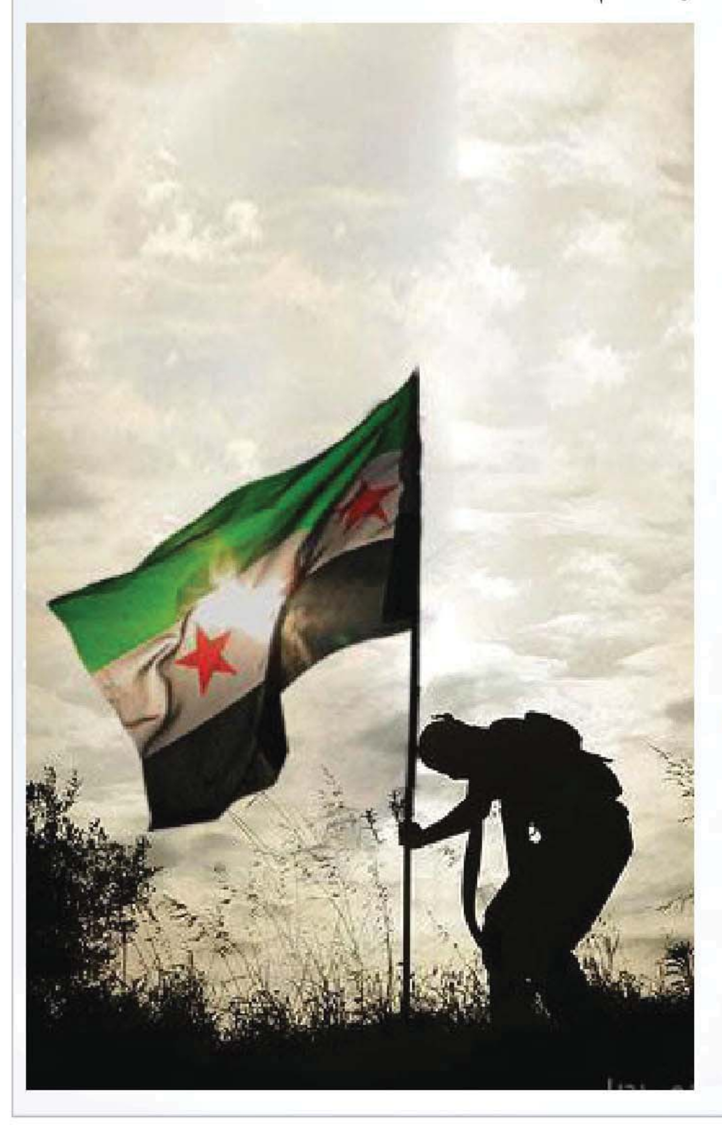
ويقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تفسير سورة هود، في جملة الفوائد من قول شعيب ﷺ : ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾، ومنها: أنَّ من قام بما يقدرُ عليه من الإصلاح، لم يكن ملوماً ولا مذموماً في عدم فعله ما لا يقدر عليه»، وقال في موضع آخر: «إنْ أمكن أنْ تكون الدولةُ للمسلمين وهم الحُكّام، فهو المتعيّنُ، ولكنْ لعدم إمكان هذه المرتبةِ فالمرتبةُ التي فيها دفْعٌ، ووقاية للدِّين والدُّنيا مُقدّمةٌ».

فالمشروع الوطنيُّ له شَرعية إسلاميةٌ طالما كان هو الممكنُ والمستطاع، والإنكار عليه غلوٌّ وتنطُّع وليس من الإسلام في شيء!

بل أزيد فأقول: إنَّ إلحاق وصف «إسلامي» بالأشياء؛ كمشروع إسلامي، وحجاب إسلامي، ومدرسة إسلامية، لم يكن في حضارتنا إلى وقت قريب، ومع أنه لا مشَاحة في الاصطلاح؛ لكن إذا كان الاصطلاح سيشوِّش على أفهام الناس فيجب أن نكون حذرين في استخدامه.

وقد تتفاوتُ اجتهاداتنا في تقديرِ القدر المستطاع في المشروع الوطني، لكن مثل هذا التفاوت -مع التسليم بالأصل- لا يؤدي إلى التخوين والاتهام في الدِّين، فضلاً عن التكفير واستحلال دماء المخالفين.

والله أعلم.



أخـــلاق وآداب

البُعْد الأخلاقي لحُرْمَة النفس الإنسانيّة.. رؤية إسلامية

الكاتب :ياسر لطفي العلي

يشكِّل الرصيد القيمي والأخلاقي في أي حضارة أو أمّة ما المرتكز الأهم لاستحقاق تلك الحضارة الوجود، ولضمان استمرارها وسيادتها، ولا نكون مبالغين إن قلنا بأن أي حضارة تقوم على غير الأساس الأخلاقي هي حضارة غير واقعيّة وغير طبيعيّة ولا أمل في أن تعمّر تلك الحضارة طويلاً.

وعندما ندرك مركزيّة الأخلاق في حياة الشعوب والأمم سَنَعِي حقيقة وأهمية ذلك المخزون الضخم من النداءات النبويّة التي تدور في فلك (إنّما بُعِثت لأتمم مكارم الأخلاق)، ومكارم الأخلاق تلك هي جملة من المبادئ والقوانين الناظمة للسلوك الإنساني بغية تحقيق معنى الاستخلاف الإلهي لهذا الإنسان على الوجه الأكمل والأتم.

كلّ ما سبق يؤكّد لنا أنّ هناك ارتباطاً وثيقاً بين طبيعة التصوّر الأخلاقي وطبيعة التصوّر الاعتقادي للإنسان، أو بمعنى أعمق: التأكيد على أنّ النظام الأخلاقي بكل مقوماته وخصائصه هو أحد أهم انبثاقات التصور الاعتقادي.

ولئن كان التصوّر الاعتقادي يحظى بذاك الأثر البالغ في تشكيل التصوّر القيمي والأخلاقي؛ فإنّ السؤال الذي يتبادر في سياق دراستنا هذه، يدور حول موقف الشريعة الإسلامية من حرمة النفس الإنسانية، والبعد الأخلاقي في ذلك الموقف، أو بصيغة أخرى: كيف يمكن أن يتجلّى التصور الأخلاقي للشريعة الإسلاميّة من خلال رؤيتها لحرمة النفس الإنسانيّة ومكانتها.

إنّ الحديث عن القيم والأخلاق هو حديث عن الإنسان ذاته، وللإنسان في التعاليم الإسلامية منزلة مميّزة، فقد خلق الله الإنسان وجعل منه خليفة في الأرض، ويسّر له كلّ مقوّمات الاستخلاف تكريماً له وتشريفاً، كما سخّر له كلّ ما في الكون من مخلوقات ليتحقّق له معنى التكريم والاستخلاف هذا؛ ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [لقمان: ٢٠]، وهذا الاستخلاف والتسخير من الله -سبحانه وتعالى- هو بمنزلة أخبار تَلفت الانتباه إلى مكانة هذا المخلوق -الإنسان- عند الله، وإلى منزلته وكرامته عنده؛ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

ونظراً لذلك؛ كانت التشريعات الإلهيّة تُشدّد في المحافظة على النفس الإنسانيّة، وتدعو إلى إحيائها، وتُحذّر من الاعتداء عليها، أو التسبّب في زوالها، كما تُشدّد في الدعوة إلى حماية الدم الإنساني، وذلك دونما تقيد بعرق أو بمذهب أو دين، فنجد البيان القرآني قد تحدّث عن ذلك مستخدماً صيغة من صيغ العموم، بأَنْ ذَكَرَ النفس الإنسانيّة بصيغة النكرة مسبوقةً بالاسم الموصول "من"، وكلّ ذلك من الصيغ التي تفيد العموم، كما جاء ذلك بأسلوب تشريعيّ بليغ وشامل لكل صور القتل والتنكيل والاعتداء على الإنسان؛ ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾ [المائدة: ٣٢]، يُشير العموم المستفاد من الآية إلى استغراق تحريم القتل ليشمل كلّ الأنفس الإنسانيّة، دون النظر إلى الفوارق الإيمانيّة أو غير الإيمانيّة، فالأصل حرمة الدم الإنساني وعدم إباحة التعرض له، وهذا ما نصّ عليه عدد من علماء الشريعة عندما ذهبوا إلى أنّ "الأصل في الدماء أنْ تكون محقونة".

ولم يقتصر البيان الإلهي على هذا النص المُشَرِّع لحماية الدم الإنساني وصيانته؛ بل توالت النصوص القرآنيّة الخاصّة بهذا الشأن، والتي شرّعت لحفظ النفس الإنسانيّة من أيّ اعتداء، كضرورة من الضرورات الخمس وكمقصد من المقاصد الإسلاميّة الكليّة، فكانت المحافظة على النفس وحمايتها من أيّ اعتداء خُلُق إسلاميّ رفيع ومدعوّ إليه، ومقصد تسعى الشريعة إلى تحقيقه، وتكون المحافظة عليها -حسب الشاطبي- بأمرين: أحدهما: تأمين كلّ ما يُقيم أركانها ويثبّت قواعدها، وذلك مراعاةً لجانب الوجود، والثاني: متعلّق بما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقّع فيها، وذلك مراعاةً لجانب العدم، وهذا يعني أنّ هدر الدماء المصانة والآمنة، وكثرة الهرج أو القتل، وممارسة الأعمال المؤدّية إلى استهداف النفس الإنسانيّة المعصومة، هو من الأعمال المخالفة للأخلاق الإسلاميّة ولمقاصد الشريعة المعتبرة، وبالتالي هي من الأخلاق والمفاسد التي ينبغي درءها ومنعها.

إنّ المبادئ الأخلاقيّة في الشريعة الإسلاميّة تنصّ على أنّ الحياة الإنسانيّة منحة من الله - سبحانه وتعالى - للإنسان، وهذه الحياة لا يملك أحدٌ إزهاقها وانتزاعها بغير إرادة من الله، ونظراً لذلك كان الاعتداء على حياة الفرد دونما حقّ مشروع هو اعتداء على المجتمع كلّه، وتعريض له للفوضى وعدم الاستقرار والأمن، وفي المقابل كانت معاقبة الجاني بالقصاص هي إحياء للمجتمع كلّه وإرساء لدعائم الأمن والاستقرار فيه؛ ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا



﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً..﴾ [المائدة: ٣٢].

ولما كانت النفس الإنسانية معصومة في دين الإسلام، والدم الإنساني يحظى بشأن عظيم وحُرمة مغلّظة، قرن الله -تعالى- بين القتل بغير الحق، وبين الشرك به في غير ما آية في كتابه العزيز؛ ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ [الفرقان: ٦٨].

ونظراً لحرمة الدم الإنساني -أيضاً-؛ فقد أخبر الرسول الأكرم أنّ أول الأمور التي يُقضى فيها بين العباد يوم الحساب إنّما هي الدماء، فيُقتَصّ من كل إنسان أصاب دماً حراماً، وفي ذلك تنبيه إلى تغليظ أمر الدماء بين الناس، وعِظَم أمر الدم؛ إذ أنّ البدء إنّما يكون بالأهم، والذنب يعظُم بحسب عِظَم المفسدة، وإعدام البنية الإنسانيّة غاية في ذلك.

إنّ الأخلاق الإسلاميّة التي تؤكد على صيانة النفس الإنسانية وحُرمتها لا تقتصر على النفس المسلمة فحسب، وإنما تحمل في دلالاتها معاني العموم لتشمل حرمة الاعتداء على الدم الإنساني مهما كان وصفه، ومهما كان انتماء صاحبه، وسواء أكان ذلك نتيجة لجريمة عاديّة، أم كان بسبب ممارسات عنفيّة غير مشروعة -إرهابيّة-.

ولئن كان الاعتداء على النفس المسلمة من مسلمات الأمور فإن حرمة نفس الإنسان غير المسلم -سواء أكان؛ ذمّيّاً أم معاهداً أم مستأمناً- هي كذلك ثابتةٌ في العديد من النصوص الشرعيّة وبما لا يدع مجالاً لأيّ نقاش أو احتمال؛ لأنّ من أهم مقتضيات عقد الذّمة وعقد المعاهدة وعقد الاستئمان أن يتعهد المُبرِم لتلك العقود بتوفير الأمن، وتأمين حماية الأنفس والأرواح، ويتعهد بحقن الدماء وصيانتها من الهدر، وعليه فإنّ أي إخلال بالمتعهّد به هو من الغدر المشؤوم والنكث المحرّم؛ الذي يسخطه الله ورسوله ﷺ؛ ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٧].

لقد تقرّر لدى كلّ فقهاء الشريعة أنّ أهل الذمّة والمعاهدين والمستأمنين جميعهم معصومو الدماء، وأنّ قتالهم وقتلهم حرام بالإجماع، حتى أنّ الأحاديث النبوية جاءت لتأكد على أنّ الاعتداء على حرمة تلك الأنفس سبباً للحرمان من دخول الجنة، بل حتى من رائحتها، وعليه فإنّ أي اعتداء عليهم أو إيذاء لهم هو مخالف للتعاليم والأخلاق الدينيّة المنصوص عليها.

كما يتجلى البعد الأخلاقي في حرمة النفس الإنسانية من خلال رؤية الشريعة وموقفها من بعض الممارسات التي تمس الإنسان جسداً وروحاً:

من ذلك مثلاً: حُرمة اعتداء الإنسان على نفسه، سواء أكان ذلك الاعتداء بإزهاق الروح بصورة مباشرة -الانتحار-، أم من خلال القيام بفعل ما قد يؤدّي إلى تلف النفس أو زوال الروح، كأنْ يستأصل الإنسان عضواً من جسده لغير مرض أو مصلحة شرعيّة تعود عليه؛ ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾ [النساء: ٢٩]، ثمّ إنّ نفس الإنسان ليست ملكاً له، وإنّما هي ملك لخالقها، وسيُسأَل الإنسان عنها، هل حفظها وقام بأداء حقوقها وواجباتها، أم أنّه ضيّعها واعتدى عليها، ولم يراعِ فيها مقاصد الشرع بأنْ يُحَقّق لها المصلحة ويدرأ عنها المفسدة.

ومن عظيم اهتمام الإسلام بالنفس الإنسانيّة، فرض العديد من الأحكام التي تكفل حمايتها وصيانتها، ولم يقتصر الأمر على الظروف العاديّة أو الطبيعيّة بل تعدّاه ليشتمل كل الحالات الاستثنائيّة؛ كحالات القتال التي تقع بين المسلمين وغيرهم، فكان بذلك غايةً في الإنسانيّة والرّحمة والعدل، ونلحظ ذلك في العديد من التشريعات القتاليّة، والتي من أهمّها: ما جاء بخصوص حماية بعض ضحايا النزاعات الدوليّة، إذ جاءت النصوص لتأكد على أنّ هناك أصنافاً معيّنة من الرعايا المنتمين للعدوّ المحارِب، لا يجوز قتالهم ولا يجوز الاعتداء عليهم، وتذخر المدوّنات الفقهيّة في العديد من الأمثلة على أولئك الأصناف، فكانت الشريعة الإسلاميّة بذلك شريعة أخلاقية تحفظ الدماء وتصون الأنفس حتى في حروبها ومع أعدائها.

وقد بلغت الأخلاق الإسلامية ذروتها عندما قررت موقفها من حرمة الإنسان حتى بعد الموت، حيث حظي قتيل المعركة -وإن كان عدواً- بحصانة تحفظ له كرامته الجسديّة من الانتهاك، وتحمي حسده من أي مُثلَة أو تشويه.

ومن أكثر المسائل التي يتجلى فيها البعد الأخلاقي ما قررته الشريعة الإسلامية من أنّ التعامل مع أسرى العدو حالة الحرب ينحصر بـ"المن أو الفداء"، مؤكّدة بذلك على أن الأخلاق الإسلاميّة تأبى الاعتداء على الأسرى بالقتل أو الإيذاء، وليس ذلك فحسب؛ بل أصبح إطعام الأسير والتودّد إليه، وحُسن معاملته، من الأشياء المتسبِّبة في امتداح المؤمنين الخُلّص.

أخيراً: هناك الكثير من التشريعات الإسلامية التي نصّت على حُرمة النفس الإنسانيّة، ولكن ما يعنينا من كل ذلك هو التأكيد على أن كل تلك التشريعات تُبرز -وبما لا يدع مجالاً للشك- سموّ وإنسانيّة وعظمة الأخلاق الإسلاميّة، وأن النظام التشريعي الإسلامي هو كيان مجسد لهذه الروح الأخلاقية، وأن الأخلاق هي جوهر الإسلام وروحه السارية في جميع تشريعاته وجزئياته، لدرجة أننا لا نكاد نعثر على حكم تشريعي واحد إلا ونجد البعد الأخلاقي حاضراً فيه.

أجمل النفوس من لا تنسى المعروف مع شدة الخلاف

الكاتب :كمال عبد القادر بامخرمة

أجمل النفوس من لا تنسى المعروف مع شدة الخلاف، ومن أسوء النفوس من تنسى كل معروف عند الاختلاف فهي تسير على سنن كفران العشير"ما رأيت منك خيراً قط" وأسوأ منها تلك التي تشتدّ في عداوة من أحسن إليها فتسعى للتنفير منه والتشهير به وتعظيم وتهويل أخطائه.

ولا تفتُر من اللهج بمعايبه بل وتحويل حسناته لمنكرات بتشويه نياته التي لا يعلم بها إلا الله وإساءة الظن به، وأعظم من ذلك أن تجعل هذه الرذائل الأخلاقية عبادة يُتعبد بها لله بحجّة إنكار المنكر وإحقاق الحق وإبطال الباطل، وهذه حيلة شيطانية لصرف النظر عن سوء خلق هذه النفس ولؤمها، وإضفاء الشرعية على تصرفاتها الشاذة المنكرة سواء شعر صاحبها بهذه الحيلة أم لم يشعر.

والأمر المدهش أن يقع مثل هذا أو قريبٌ منه بين المنتسبين للعلم والدعوة!!

وإنني أرى أنّ جانباً من الخلافات بين العاملين للإسلام سببه مثل هذه النفوس المريضة التي تقوم بتأزيم العلاقات بين الإسلاميين، وتحويل خلافاتهم إلى عداوات قاتلة للعمل الإسلامي، وتبطل أي سعي للتقارب بينهم حتى في أوقات الفتن والأزمات.

وإنني أدعو نفسي وكل مخلص صادق أن يحذر من هذه الرذائل الخلقية وأمثالها، لأنها سببٌ مؤكد من أسباب التشرذم في العمل الإسلامي وصعوبة التوصّل إلى تقاربات فاعلة فيما بين قياداته وأفراده.

لا يكفي التنظير والتأكيد على أهمية الوحدة والائتلاف، وفضل التعاون على البر والتقوى إذا لم نسمُ بأخلاقنا سموَّ أخلاق الإسلام، وندع حظوظ النفس أن تقف عائقاً تجاه هذا الائتلاف والتعاون.

إنّ من مشاكلنا التي تقف عائقاً تجاه تقاربنا وتعاوننا كإسلاميين هي مشكلة أخلاقية، حيث علينا أن نتأمل ونتمثل قول النبي ﷺ: (إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق)، وبهذا ندرك لماذا اعتنى النبي ﷺ في مكة ببناء الأخلاق إلى جانب الإيمان، ولماذا كانت عناية القرآن المكي بالإيمان والأخلاق معاً، حيث لم تُفرض التشريعات الحياتية التفصيلية إلا في المدينة بعد أن تمكّن بناء الإيمان والأخلاق في نفوس المسلمين في مكة، وبهذا ندرك السر في تحوّل أبناء البلدان التي فتحها أصحاب رسول الله ﷺ إلى الإسلام، بل وترك لغاتهم الأصلية إلى لغة القرآن رغبةً لا رهبة، وحبّاً لا كرهاً، وهو ما لم يقع لأي غازٍ من قبل في التاريخ.

لقد فتح أصحاب رسول الله ﷺ القلوب قبل فتح البلدان، ولقد كانت فتوحاتهم رحمة بأهل البلدان المفتوحة، أدركوا خلالها سموّ رسالة الإسلام وعظمتها لما يرونه من الأخلاق العظيمة التي يتّسم بها المسلمون.



بأقلامهن

أحب مكارم الأخلاق جهدي

سلوى الأنصاري

عنوان هذه المقالة صدر بيت للشاعر الحسين بن مطير الأسدي وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية المتوفى سنة ١٦٩هـ، وعجزه «وَأَكْرَهُ أَنْ أَعِيبَ وَأَنْ أُعَابَا»، وفيه الحث على التحلي بمكارم الأخلاق التي يجب على المسلم أن يتحلى بها؛ حيث إن الشرائع السابقة كلها تحث على الأخلاق الفاضلة فقد قال ﷺ «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، وإن كل إنسان يعيش في هذه الحياة ويتصل بالناس لا بد أن يجد شيئًا من الإساءة فيجب عليه أن يعفو ويصفح وليعلم علم اليقين أنه ستنقلب العداوة بينه وبين أخيه يومًا ما إلى صداقة؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]. ولقد أثنى الله عز وجل على نبيه عليه الصلاة والسلام بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وحسن الخلق يوجب الألفة والمحبة والصلاح بين أفراد الأسرة والمجتمع.

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه ❋ فقوّم النفس بالأخلاق تستقم

وقد حث النبي ﷺ على حسن الخلق والتمسك به وجمع بينه والتقوى فقال ﷺ: (أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق)، قال ابن القيم رحمه الله: «في هذا الحديث خصلتان: الأولى: تقوى الله: وهي التي تصلح ما بينك وبين الله. والثانية: حسن الخلق: وهي التي تصلح ما بينك وبين الناس».

وتقوى الله خير الزاد ذخرا ❋ وعند الله للأتقى مزيد

وكم نحن بحاجة ولاسيما في هذه الأيام إلى مكارم الأخلاق والتحلي بها وتربية الأبناء عليها وتوريثها لهم، والتي من أبرزها التحلي بما يلي:

أولًا: الصدق: وهو من أجلّ الأخلاق وأعظمها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وهو سبب من أسباب دخول الجنة لقوله ﷺ: «إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا». قال الشاعر:

ما أحسن الصدق في الدنيا لقائله ❋ وأقبح الكذب عند الله والناس

ثانيًا: الحلم والأناة: قال تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لأشج عبد القيس: «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة».

واستشعر الحلم في كل الأمور ولا ❋ تسرع ببادرة يومًا إلى رجل

ثالثًا: الصبر: إن الله عز وجل جعل الصبر عدة، وأمر بالاستعانة به في كل نازلة تنزل بالعبد، قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

وقل من جد في أمر يحاوله ❋ واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

رابعًا: الأمانة: وهي من لوازم الإيمان لقوله ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له»، وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: «أداء الأمانة مفتاح الرزق».

أدِّ الأمانة والخيانة فاجتنب ❋ واعدل ولا تظلم يطب لك مكسب

خامسًا: العدل: يعد العدل من القيم الأخلاقية التي جاء بها الإسلام، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقال الرسول ﷺ: «ثلاثة لا ترد دعوتهم...» وذكر منهم «الإمام العادل».

عليك بالعدل إن وليت مملكة ❋ واحذر من الجور فيها غاية الحذر

سادسًا: الكرم: وهو من مكارم الأخلاق وقد يكون سببًا لخلاص صاحبه ولا أدل على ذلك من قصة أسر ابنة حاتم الطائي – الذي ذاع صيته في الكرم في الجاهلية – وكانت تدعى «سفانة» لما علم بها النبي عليه الصلاة والسلام قال: «أطلقوا سراحها فهي ابنة رجل يحب مكارم الأخلاق». قال الشاعر:

أحادث ضيفي قبل إنزال رحله ❋ ويخصب عندي والمكان جديب
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى ❋ ولكنما وجه الكريم خصيب

سابعًا: المودة: وهي من مكارم الأخلاق التي توجب الألفة بين الناس، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «خير الإخوان من إذا استغنيت عنه لم يزدك في المودة، وإن احتجت إليه لم ينقصك منها».

مودته تدوم لكل هول ❋ وهل كل مودته تدوم

ثامنًا: الرفق: وهو خلق عظيم قال رسول الله ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه». قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في تعريف الرفق: «هو لين الجانب بالقول، والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضد العنف».

خذ الأمورَ برفقٍ واتئدْ أبدًا ❋ إياك من عَجِلٍ يدعو إلى وصَبِ
الرفقُ أحسنُ ما تُؤتَى الأمورُ به ❋ يصيبُ ذو الرفقِ أو ينجو من العطبِ

تاسعًا: الإحسان: قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، إذا أحسن المسلم إلى الآخرين كانت النتيجة إحسان الله إليه في الدنيا والآخرة، وإن الإحسان كالمسك ينفع حامله وبائعه ومشتريه.

أحسنْ إلى النّاسِ تَستَعبِدْ قُلوبَهُمُ ❋ فطالَما استعبدَ الإنسانَ إحسانُ

عاشرًا: المروءة: وهي خلق جليل وأدب رفيع تميز به الإنسان عن غيره من المخلوقات، فالمروءة صدق في اللسان، واحتمال للعثرات، وبذل للمعروف، وكف للأذى، وصيانة للنفس، وطلاقة للوجه؛ فهي تدخل في الأخلاق والعادات، والأحكام والعبادات. قيل لسفيان بن عيينة رحمه الله: «قد استنبطت من القرآن كل شيء فأين المروءة في القرآن»، قال: في قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] ففيه المروءة وحسن الآداب ومكارم الأخلاق»، قال الأحنف بن قيس: «كثرةُ الضحك تُذهب الهيبة، وكثرة المزح تذهب المروءة»، ورحم الله الإمام الشافعي يوم قال: «والله لو كان الماء البارد ينقص من مروءتي لشربته حارًا».

وَما ضَاقَتِ الدُّنيا على ذي مروءةٍ ❋ ولا هي مسدودٌ عليهِ رحابها

ما أجمل أن نتحلى بمكارم الأخلاق لنسعد في هذه الحياة ونسعد الآخرين.

دعوة النبي صلى الله عليه وسلم في الطائف

شيماء جمال الدين

رحلة الطائف... في مرحلة مهمة من مراحل الدعوة إلى الله في سيرة الحبيب المصطفى ﷺ؛ يقوم النبي بالانتقال من دعوته إلى خارج المكان الذي عاش فيه وقد كان ذلك بسبب الأبواب التي أوصدت في وجهه ولم تمكنه من الدعوة في داخل مكة.

فكر النبي ﷺ في الدعوة إلى الله في الطائف لأسباب كثيرة منها أن الطائف هي المدينة الثانية بعد مكة؛ ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزُّخرف:٣١]؛ والمقصود بالقريتين هنا هما مكة والطائف.

كما أن في الطائف توجد قبيلة ثقيف وهي من أقوى القبائل العربية والتي إن دخلت في الإسلام فستكون قوة كبيرة داعمة للدين في أول طريق الدعوة، وأيضاً فإن الطائف لم تكن بعيدة عن مكة كثيراً مما يساعد على نشر الدعوة دون فقد العدد الذي آمن مع النبي -ﷺ- في مكة.

توجه النبي -صلوات ربي عليه وسلامه- إلى الطائف في شوال من العام العاشر بعد بعثة النبي ﷺ. في شوال سنة عشر من النبوة [في أواخر مايو أو أوائل يونيو سنة ٦١٩ م] خرج النبي ﷺ إلى الطائف، وهي تبعد عن مكة نحو ستين ميلًا، سارها ماشيًا على قدميه جيئة وذهابًا، ومعه مولاه زيد بن حارثة، وكان كلما مر على قبيلة في الطريق دعاهم إلى الإسلام، فلم تجب إليه واحدة منها.

وصل نبي الله محمد -ﷺ- إلى الطائف وهو يحمل في جعبته لهم الدعوة إلى دين الله الحق، ويحمل إليهم أيضاً طلب النصرة فهو يحتاج إلى قوم مثلهم في قوتهم ومكانتهم ليؤازروه وينصرونه في مواجهة كفار مكة.

عمد النبي ﷺ إلى ثلاثة إخوة من رؤساء ثقيف، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله وإلى نصرة الإسلام، فقال أحدهم: هو يَمْرُط ثياب الكعبة [أي يمزقها] إن كان الله أرسلك. وقال الآخر: أما وَجَدَ الله أحدًا غيرك، وقال الثالث: والله لا أكلمك أبدًا، إن كنت رسولًا لأنت أعظم خطرًا من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغى أن أكلمك؛ فقام عنهم رسول الله -ﷺ- وقال لهم: «إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني".

مكث النبي ﷺ في الطائف عشرة أيام يدعوهم إلى الله فما قبلوا وما استجابوا لدعوته ثم اجتمع له سفهاؤهم وعبيدهم يطردونه من أرضهم ويرمونه بالحجارة ومولاه زيد بن حارثة -رضي الله عنه- يدفع عنه أذاهم قدر استطاعته؛ حتى سالت الدماء من قدميه الشريفتين، وورد في السيرة أنه دعا بعد ذلك دعاءه المشهور قائلاً: "اللهم إليك أشكو ضَعْفَ قُوَّتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تَكِلُني؟ إلى بعيد يَتَجَهَّمُني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو يحل علي سَخَطُك، لك العُتْبَى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك".

فلما رآه ابنا ربيعة شعرا نحوه بالعطف فأمرا غلامًا لهما نصرانيًا اسمه عَدَّاس بأن يعطى محمدا قطفًا من العنب. فمد النبي ﷺ يده إليه قائلًا: (باسم الله) ثم أكل.

فقال عداس: إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله ﷺ: «من أي البلاد أنت؟ وما دينك؟» قال: أنا نصراني من أهل نِينَوَى. فقال رسول الله ﷺ: «من قرية الرجل الصالح يونس بن مَتَّى» قال له: وما يدريك ما يونس ابن متى؟ قال رسول الله ﷺ: «ذاك أخي، كان نبيًا وأنا نبي»، فأكب عداس على رأس رسول الله ﷺ ويديه ورجليه يقبلها.

وأثناء عودة النبي إلى مكة كما جاء في الحديث؛ عن عروة بن الزبير، أن عائشة رضي الله عنها حدثته أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم



كان أشد عليك من يوم أحد؟ قال: لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلاَل، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقَرْنِ الثعالب وهو المسمى بقَرْنِ المنازل فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال، فسلم عليّ ثم قال: يا محمد، ذلك، فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين أي لفعلت، والأخشبان: هما جبلا مكة: أبو قُبَيْس والذي يقابله، وهو قُعَيْقِعَان قال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله عز وجل وحده لا يشرك به شيئًا) رواه البخاري.

ثم كان أن آمن نفر من الجن برسالة النبي في أثناء عودته من رحلة الطائف، قال الله -تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف:٢٩-٣١].

رحلة الدعوة في الطائف بها العديد من الفوائد واللطائف والعِبَر:

لقد كان النبي ﷺ يجتهد في الدعوة إلى الله منذ كُلِف بالدعوة وكان سياسياً بارعاً يفكر أين يبدأ بالدعوة ومن هم القوم الذي يحتاج دعمهم لتقوية شوكة المؤمنين.

طريقة النبي في الدعوة إلى الله هي منهج يُدرس للدعاة ولجميع المسلمين حتى تقوم الساعة.

صبر النبي -ﷺ- على الأذى وتحمله أنواع الإيذاء في سبيل الدعوة إلى الله، وثباته عليه الصلاة والسلام على الحق رغم ما لاقاه من رفض لدعوته.

أخذ النبي بالأسباب من أجل الدعوة ولم يكتف بكونه نبيا وإنما بذل الغالي والنفيس من أجل إعلاء كلمة الحق.

وجوب نصرة النبي والدفاع عنه كما فعل زيد بن حارثه وجميع الصحابة والتابعين.

دعوة النبي للغلام النصراني رغم ما كان عليه من حال بعد رحلة الطائف، لم يكن النبي -ﷺ- ليضيع فرصة يدعو فيها لله رب العالمين.

واجب الأنبياء والرسل هو الدعوة وأما الهداية فهي بيد رب العالمين، يقول االله -تعالى: ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [العنكبوت:١٨].

صبر النبي على قومه ورحمته بهم عسى الله أن يهديهم أو يخرج من أصلابهم قوم يوحدون الله.

بشريات النصر بإيمان نفر من الجن بدعوة النبي محمد ﷺ.

رحلة دعوة النبي ﷺ في الطائف برغم ما كان فيها من صعوبات إنما كانت بوادر الفرج فكان اليُسر بعد العُسر والعطية بعد البلية والنصر لدين الله رب العالمين.

تراجم

عبد الرحمن بن رأفت الباشا

(1338هـ 1920-م / 1986م)

أسـرة التحريـر

نسبه ونشأته:

هو عبد الرحمن بن رأفت الباشا، من بلدة أريحا شمال سورية، التابعة لمحافظة إدلب، ولد في رمضان ١٣٣٨هـ- إبريل عام ١٩٢٠م.

تلقى تعليمه الابتدائي في أريحا، ثم تخرج في المدرسة الخسروية بحلب؛ وهي أقدم مدرسة شرعية رسمية في سورية.

ابتعث إلى القاهرة فنال الشّهادة العالية من كلية أصول الدّين في الأزهر عام ١٩٤٥م، وشهادة اللّيسانس في الأدب العربي من كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة).

ثم حصل على درجتي الماجستير عام ١٩٦٥م، والدّكتوراه من الجامعة نفسها عام ١٩٦٧م.

سيرته العملية:

كان الدكتور الباشا مهندسًا للأدب الإسلامي، ومؤرخًا وأديبً، وكان علمًا علم من أعلام الأدب، ورمزًا من رموز الفكر، ومن أكبر اللغويين في عصره، اعتلى المناصب ومنابر العلم، فسخر بذلك حياته لخدمة لغة القرآن.

عمل في تدريس اللغة العربية، ثم في التفتيش عليها، ثم عين كبيرًا لمفتشي اللّغة العربية في سورية، ثم مديرًا لدار الكتب الظّاهرية المنبثقة عن المجمع العلمي العربي في دمشق عام ١٩٦٤م، وأستاذًا محاضرًا في كلية الآداب في جامعة دمشق في السنة نفسها.

أُعير للتدريس في المعاهد العلمية في السّعودية، ثم انتقل للتدريس في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية؛ وشغل فيها منصب رئيس قسم البلاغة والنّقد ومنهج الأدب الإسلامي، وكان عضوًا في المجلس العلمي في الجامعة منذ أن وُجِدَ، وعُهِدَ إليه بلجنة البحث والنّشر في الجامعة ذاتها.

أمضى الدكتور عبد الرحمن حياته العلمية والعملية منافحًا عن لغة القرآن، داعيًا إلى فن أدبي إسلامي لا يكتفي بجمال التعبير وإبداع

التصوير؛ وإنما يشترط فيه أن يكون ممتعًا هادفًا نافعًا في وقت معًا.

سعى لإيجاد عمل موسوعي يخدم الأدب الإسلامي، فظهرت فكرة موسوعة أدب الدعوة الإسلامية التي قامت بإصدارها كلية اللغة العربية بالرياض، وأشرف عليها بنفسه حيث كانت نتاج مادة البحث لطلبة السنة النهائية بكلية اللغة العربية، وصدر منها ستة مجموعات:

١- شعر الدعوة الإسلامية في عصر النبوة والخلفاء الراشدين، إعداد عبد الله حامد الحامد.

٢- شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي، إعداد عبد العزيز محمد الزير، ومحمد بن عبد الله الأطرم.

٣- شعر الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الأول، إعداد عبد الله عبد الرحمن الجعيثن.

٤- شعر الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الثاني، إعداد عائض بنية الردادي.

٥- شعر الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الثالث، إعداد محمد بن علي الصامل، وعبد الله بن صالح العريني.

٦- وفي مجال النثر صدرت القصص الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين في مجلدين كبيرين من إعداد أحمد ابن حافظ الحكمي.

وقد كان لصدور هذه الأسفار من الموسوعة أثر ملموس في تغيير بعض المسلّمات الأدبية الخاطئة عن الشعر الإسلامي، ولا سيما في عصر النبوة والخلفاء الراشدين.

كما عمل الدكتور الباشا رحمه الله على توسيع نطاق التعريف بهذا الأدب اليتيم -كما كان يُطلِق عليه في بعض المناسبات- وذلك من خلال برنامج إذاعي سجلت حلقته الأولى إذاعة الرياض في ١٣٩٥/٤/٣٠هـ، وقد زادت عدد حلقاته على (٢٤٠) تحت اسم (مع أدب الدعوة الإسلامية).

قام الدكتور الباشا برسم منهج إسلامي في الأدب والنّقد، وعمل على إرساء قواعده، وتبنت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية هذه الفكرة الرّائدة، وأوسعت لها في المحاضرات الجامعية، حتى قيض لمادة منهج الأدب الإسلامي أن تقف على أرض صلبة قوية، وأنشئ على أثرها أول قسم خاص بها في العالم الإسلامي.

وقد عبر عن ذلك الشيخ أبو الحسن الندوي في التقديم الذي كتبه لكتاب (نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد) بقوله:

"كان الدكتور عبد الرّحمن ممّن يتصف بالعمل والتطبيق، فلم يستجب لهذه الفكرة استجابة فكرية فحسب، بل سبق إلى تنفيذها وتجسيدها خلال تدريسه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وإشرافه على البحوث الأدبية، ثم تطورت آماله إلى تأسيس رابطة تُعْنى بهذا الموضوع، وعقد ندوات حول الموضوع، والتف حوله أساتذة وكتاب كان بينهم انسجام فكري، وتحولت هذه الفكرة إلى منظمة عالمية".

مرَّ إنشاء هذه المنظمة التي دعيت بـ) رابطة الأدب الإسلامي العالمية) بمراحل عديدة، كان أهمها الاجتماع الذي عقد في منزل الدكتور عبد الرحمن الباشا في مدينة الرياض عام ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م والذي تكونت فيه هيئة تأسيسية لهذه الرابطة برئاسة الشيخ أبي الحسن الندوي ثم كانت الندوة العالمية للأدب الإسلامي برئاسة الشيخ الندوي في لكنو في شهر جمادى الآخرة عام ١٤٠٤هـ - ١٩٨١م، حيث دعي إلى هذه الندوة عدد كبير من رجالات العالم الإسلامي المهتمين بالأدب، واختير الدكتور الباشا نائبًا لرئيس الرابطة، ورئيسًا لمكتب البلاد العربية.

كما شارك الدكتور الباشا في العديد من اللّجان والنّدوات، وناقش وأشرف على عدد من رسائل الماجستير والدّكتوراه.

مؤلفاته:

ترك الدكتور عبد الرحمن جملة من المؤلفات التي لاقت قبولاً وشهرة كبيرة، وتعتبر عمدة في بابها، وقد تنوعت ما بين أدبية ونقدية وإسلامية، ووصفية وتربوية، يجمعها هدف واحد هو الغيرة على تراث الأمة، ومحاولة بعث البطولة في نفوس الناشئة، وربطهم بقيمهم ومبادئهم الإسلامية.

وقد تميزت كتاباته بالسهولة والعذوبة، مع استخدام المحسنات الأسلوبية، والتصوير البياني مما أسهم في انتشارها والإقبال عليها، ومن أهمها:

١- صور من حياة الصحابة.

٢- صور من حياة الصحابيات.

٣- صور من حياة التابعين.

٤- أرض البطولات- رواية.

٥- الراية الثالثة-رواية.

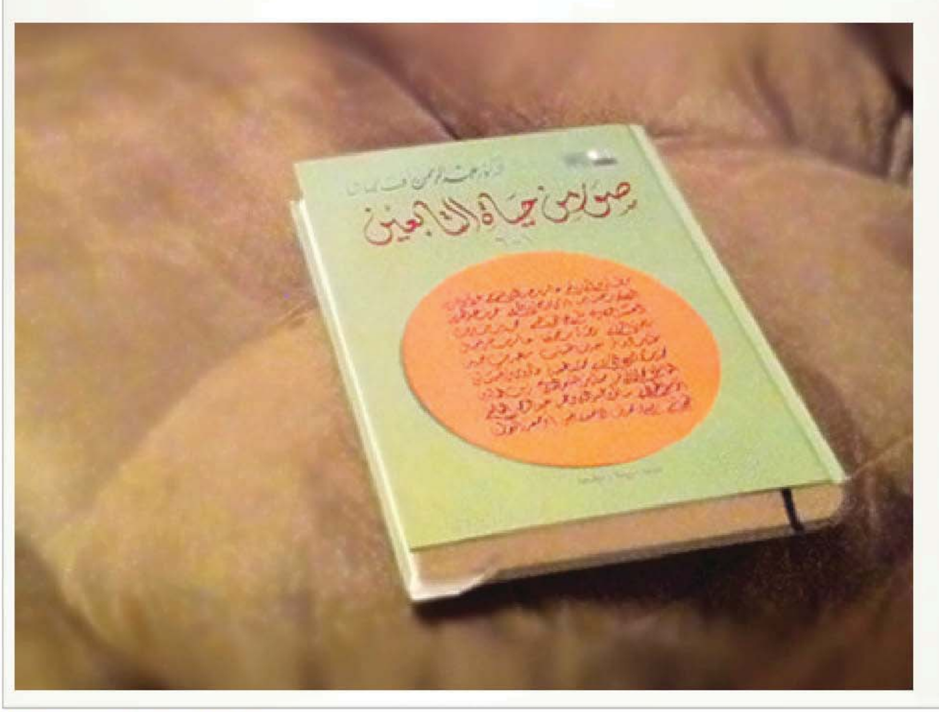
وقد عالج في هاتين الروايتين كفاح الشعب العربي السوري ضد الاحتلال الفرنسي.

٥- نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد.

٦- الطريق إلى الأندلس، لمحات وقطوف.

٧- العدوان على العربية عدوان على الإسلام.

تُوفي -رحمه الله- يوم الجمعة من شهر ذي القعدة عام ١٤٠٦هـ- الموافق الشهر السابع من عام ١٩٨٦ في مدينة اسطنبول بتركيا.



واحـــة الشعـــــر

بسكوتهم كضميرهم !

حسان الجاجة

وزعت الأمم المتحدة طروداً من البسكويت على المحاصرين في الزبداني ومضايا، تبين أنها منتهية الصلاحية، وأصيب على إثرها أكثر من ٤٠ طفلاً، فأنشد الشيخ حسان الجاجة هذه الأبيات:

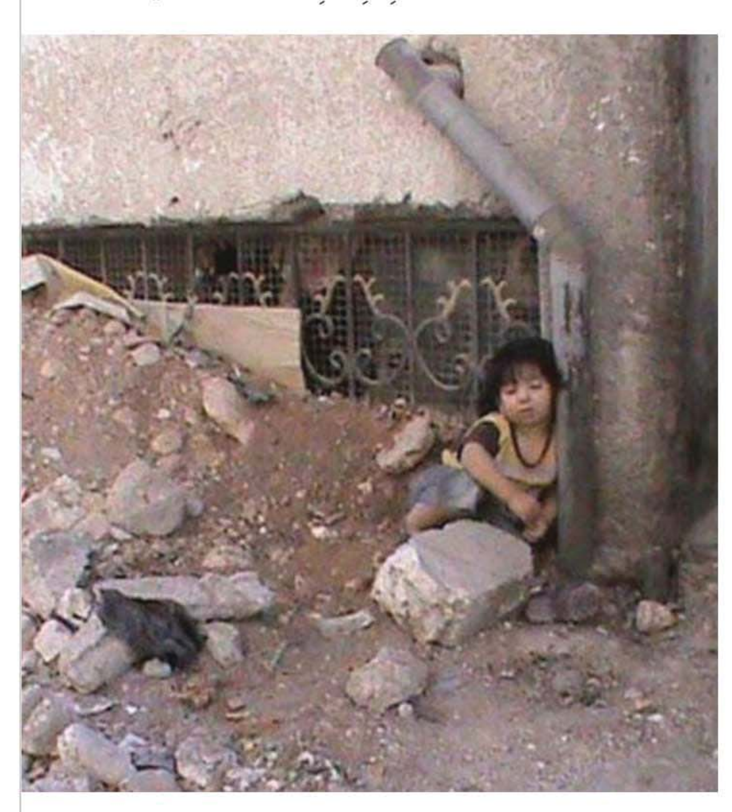
شعب يئن من الحصار
وطفله دهـــــراً يجوع
قـالــوا هلُمّ فَـهادِنـوا
كِيمونُ تُقلــقه الدّموعْ
بَســـكوتُهم كضَميرهم
ماتَ الضّميرُ بِلا رُجوعْ
يا هيـئة الرمم اللئيمة
سوف تلعـــنك الجموع

لكنّما اللّه حسبنا

د. عبد الرحمن العشماوي

مؤامرة كبرى تدور على الشامِ ... بتنــــفيذِ بوتينٍ و تخطيطِ أوبامِ
تدور على صنـــعائنا وعراقنا ... بتوجيـــــهِ خامنئي وقُسٍّ وحاخامِ
تباركها الأصـــنامُ من كلّ دولةٍ ... وحسـبك ما نلقاه من جور أصنامِ
مؤامرةٌ كبرى تـدور بها الرّحى ... لتمزيـق أوطاني وتحطيمِ إسلامي
تداعى علينـــا كلُّ باغٍ وكافرٍ ... ومرتـزقٍ يقتاتُ من جرحِنا الدّامي
مؤامرةٌ كالّلـــيلِ خيّم فوقنا ... كثيــــفاً ويجري تحتَه كلُّ إجرامِ
تصاحبُها أبـــواقُ زورٍ وباطلٍ ... تُروّجـــــــها فينا وسائلُ إعلامِ
مؤامرة كبرى نـــواجهُ ليلها ... بفجرٍ من الإيــــمانِ بالله بسّامِ
مؤامرةٌ لكنّما اللهُ حــــسبُنا ... كفانا به في بؤسنــــا أنه الحامي

هذا التــــراب أعز من عرش بلا
شرفٍ و من تـــــاج بلا سلطان
نامي فلا نامت عيون ملوكهم
البرد أرحم مــــن يدي شيطان
لم يأمنـــوا يومًا زوال عرشهم
وأمِنتِ أنتِ فـــنامت العينان



من إنجازات الهيئة

الأنشطة التربوية :

- إتمام دورة في (أخلاقيات مهنة التعليم) حضرتها ٤٥ امرأة في المركز الثقافي النسائي بالريحانية.

- إطلاق برنامج (بناء) الشبابي بالريحانية، يشارك فيه ٣٠ شاباً.



أنشطة جمعية الشام لتعليم القرآن الكريم :

- أتم ١،٥٩٥ طالبا وطالبة حفظ جزء من القرآن الكريم خلال شهر أكتوبر / تشرين الأول.

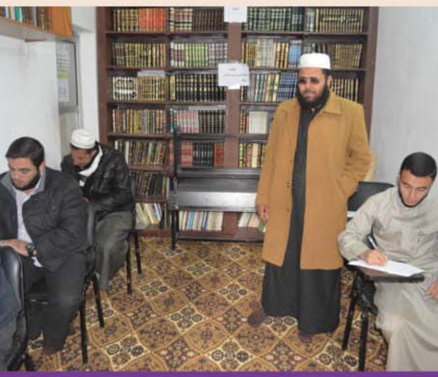


- نفذت جمعية الشام لتعليم القرآن ثلاث دورات في التأهيل الشرعي لمدرسي الحلقات في حماة وحمص ومخيم أورفا التركي.



الأنشطة الدعوية :

- نفذ ٧٩ داعية داخل سوريا وفي مناطق اللجوء ٤،٩٩٨ نشاط دعوي، استفاد منها ٢٣٦،٣٤٩ شخصا.







- انطلاق المستوى الثالث في معهدي الشام لإعداد الدعاة في حماة وحلب.



الأنشطة النسائية :

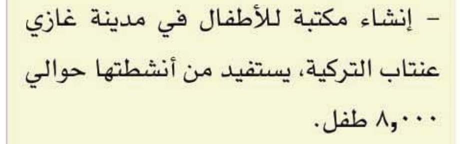
- انطلاق مشروع « أم الكتاب » في الأردن، وتستفيد منه حوالي ٣٠ امرأة.



- تخريج ٦١ امرأة كدفعة رابعة ضمن مشروع « أمان » للنساء السوريات في الأردن.



- استمرار دورة « واحة فتيات الشام » في الغوطة الشرقية بمشاركة ٢٠٠ فتاة.



- إنشاء مكتبة للأطفال في مدينة غازي عنتاب التركية، يستفيد من أنشطتها حوالي ٨،٠٠٠ طفل.

